أ.د. أشرف مؤنس
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة عين شمس

الفرق بين مفهومى
التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر

مقدمة :

يوضح هذا المفهوم ما المقصود بالتاريخ الحديث ؟ وما المقصود بالتاريخ المعاصر؟ والآراء التى قيلت حولهما، مع ذكر المعايير والحجج التى يُستند إليها فى تعريف كل مفهوم، كما يشمل أيضًا أهم السمات لكل مفهوم، وأوجه الشبه والاختلاف لكل من المفهومين، كما يبين الحقائق التى نستند إليها فى ترجيح أى الآراء أكثر رجاحة ويأخذ بها معظم المؤرخين.

تعريف مصطلح التاريخ الحديث :

Modern History:

التاريخ الحديث يشمل الفترة الزمنية التاريخية بعد حقبة ما بعد الكلاسيكية، ويمكن تقسيم التاريخ الحديث إلى الحقبة الحديثة المبكرة بالقرن السادس عشر الميلادى، والحقبة الحديثة المتأخرة بعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية. وقد أسهمت أحداث كثيرة وكبيرة وتطورات هائلة فى تغيير أوروبا خلال الفترة الزمنية المذكورة.

الآراء المتعددة حول بداية التاريخ الحديث:

اختلف المؤرخون حول بداية التاريخ الأوروبى الحديث، البعض يرى أن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م ومعها الإمبراطورية البيزنطية بداية لتاريخ أوروبا الحديث؛ حيث صحب هذا الحدث هجرة الكثير من العلماء اليونانيين إلى روما وغرب أوروبا يحملون معهم تراثهم الثقافى الذى أثر فى الفكر الأوروبى.(١)

والبعض الآخر يذكر أن سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م وطرد المسلمين منها؛ حيث سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين على يد المسيحيين واستردادهم شبه جزيرة أيبيريا بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من ٧٧٠ عامًا.

والبعض يذكر أن اكتشاف الأمريكتين والعالم الجديد عام ١٤٩٢م بداية لتاريخ أوروبا الحديث؛ حيث أدى ذلك إلى نمو النشاط التجارى فى أوروبا وظهور العديدمن طرق التجارة العالمية.

والبعض يرى أن حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا وظهور المذهب البروتستانتى فى عام ١٥١٧ م هو بداية التاريخ الأوروبى الحديث؛ حيث ترتب على هذه الثورة الدينية أن عددًا من الأوروبيين وسكان العالم الجديد اعتنقوا المبادئ التى نادى بها مارتن لوثر وغيره من المصلحين أمثال زونجلى وكالفن. (٢)

وهذه الآراء والاختلافات بين المؤرخين نصادفها فى أى مكان نتناول تاريخه، ويختلف المؤرخون باختلاف المعايير والأسانيد والحجج التى يستخدمونها لهذا التحديد. (٣)

وغالبًا ما يُطلق العلماء على العصر الحديث صفة (الحداثة)، و تميز العصر الحديث بظهور فلسفة التنوير التى ركزت على الفرد ووضعت له قيمة عالية، كما شهدت هذه الفترة التوسع الاستعمارى الأوروبى، وخلال هذا العصر تحسنت وسائل النقل والمواصلات، وقامت حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا، وأصبحت السياسة علمانية أكثر من ذى قبل ، وانتشرت الرأسمالية، وازدادت قوة الدول القومية،

وظهـر الكثير من الاكتشافات مثل اكتشاف أمريكا، وكثير من الاختراعات مثل اختراع المطبعة وحروف الكتابة.

وكذلـك التاريـخ الحديث فـى العالم العربـى، تعددت الآراء حولـه، فالبعض يذكر أن دخـول العثمانيين بلاد الشام عـام ١٥١٦م ، والبعض يُرجعها لحركات الإصلاح الإسلامية التى ظهرت فى أواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشـر الميلاديين ، والبعض يذكـر اتصال العـرب بالغرب أيـام محمد علـى باشا (١٨٠٥- ١٨٤٨م) فـى النصف الأول مـن القـرن التاسع عشر، والبعض يـرى أن الحملة الفرنسية علـى مصر والشام فى عام ١٧٩٨م ، فى أواخر القرن الثامن عشـر ، والبعض يذكر أن حركـة الشريف حسين شريف مكة والمدينة فى عام ١٩١٦م، بداية تاريخ العرب الحديث. (٤)

وإذا كان لكل فريق رأيه وعنده من الأدلة والحجج ما تؤكد هـذا الرأى أوذاك، فإننى أعتقد أن خير تحديد نقدمه لبداية تاريخنا العربى الحديث، هو أن تاريخ العرب الحديث يبدأ مع بداية القـرن التاسع عشر الميلادى، وأحسـب أن هذا القرن كان بدايـة فترة التغيير الممهدة إلى النهضة الكبرى سياسيًا واقتصاديًـا واجتماعيًا وثقافيًا. ويكفـى أن نؤكد عدة حقائق أولية نستند إليها يأتى فى مقدمتها(٥):

الحقائق التى نستند إليها :

أولاً : الحداثة والقـدم أمران نسبيان، وليس هناك زمن محدد يمكن أن يُعَد بداية للعصر الحديث فى كل مكان، فأمم العالم خضعت فى تطورها لاعتبارات وظروف مختلفة جعلتها تسير فى اتجاهات متوازية حينًا ومتعارضة أحيانًا أخرى، ولا يستطيـع باحث أن يَدَّعى أن التاريخ الحديث فى الهند مثلاً أو فى مصر أو أى دولة يبدأ فى الوقت نفسه الذى بدأ فيه التاريخ الحديث فى أوروبا. كما أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كلـه، وهى دولة ولـدت فى ظل التاريخ الحديـث (١٧٨٩م) لا يمكن أن يقسم تاريخها إلى قديم ووسيط وحديث.

ثانيًـا : إن تحديـد حادثـة بعينها أو واقعـة معينة أو عام محـدد لبداية مرحلـة تاريخية، لايعني بحال مـن الأحوال أن المرحلة الجديدة تبدأ فقط عند ذلك التحديد، نظرًا لترابط الفترات الزمنية ترابطًا كميًا وكيفيًا، وما التقسيم إلا لتسهيل الدراسة فحسب.

ثالثًـا : أمـا المعيار الثالث الذى نستنـد عليه فى تحديد نقطـة البدء فى تاريخ العرب الحديث يجب أن يكون نابعًا من نسيـج المجتمع العربى وليس وافـدًا عليه من الخارج، فلا بد أن ننظر فى أحوال الأمم وظروف تطورها.

رابعًـا : إن تحديـد بدايـة تاريخ أوروبـا الحديث بمطلع القـرن السادس عشـر الميلادى لا يمكـن أن يعنى أن تاريخ العالـم - ومنـه تاريـخ العـرب الحديـث - قد بـدأ فى هذه الفتـرة، نظرًا لاختلاف طبيعة التغييـرات والتحولات العامة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية) من منطقة لأخرى تبعًـا للتطور الذاتى الخاص بـكل منطقة على حدة؛ حيث إن أوروبا قد مرت خلال هذه الفترة وما تلاها بتغييرات واسعة النطاق شملـت كل جوانب الحياة الأوروبيـة، أما فيما يتعلق بتاريـخ العرب الحديث مع مجىء الحكم العثمانى، فإنها لم تشهـد تحولاً مثل الـذى شهدته أوروبا، ومـن هنا لا نستطيع أن نوافـق على الرأى القائل بأن تاريـخ العرب الحديث يبدأ مـع دخـول العثمانيين، كما أننا من ناحيـة أخرى لا نتفق مع مـن ذهبوا إلى أن خروج الشريف حسين وأبنائه على الحكم العثمانـى بدايـة التاريـخ العربـى الحديث، فقـد كانت فى منطقـة محددة ولم يكن لهـا التأثير فـى كل جوانب الحياة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا.

كمـا أننا مـن ناحية أخـرى لا نتفق مع من ذهبـوا إلى أن الحملـة الفرنسيـة الاستعمارية بقيادة نابليـون بونابرت على الشرق بداية التاريخ العربى الحديث. فمع تقديرنا للدور الذى قامت به الحملة الفرنسية، إلا أنها حملة استعمارية احتلالية لم يكن الهدف منها مصلحة الشرق وإنما مصلحة فرنسا فى المقـام الأول، ولهذا فإن هذه البداية لم تراع المنطق القومى وإنمـا تأخذ بالمنطق الاستعمارى وهذا ما نرفضه؛ فلا يصح أن نؤرخ لبداية تاريخنا بحملة استعمارية. (٦)

وبتطبيق المعاييـر السابقة ، فإننا نرى أن القرن التاسع عشـر الميـلادى الذى قامت فيـه حركات الإصـلاح الدينى، وفترة حكم محمد على، بداية منطقية لتاريخ العرب الحديث؛ حيث تُعـد حركات الإصـلاح الدينى أو الحـركات الاسلامية التى شملت الحركة الوهابية فى نجد وشبه الجزيرة العربية، والحركـة السنوسيـة فـى ليبيـا وشمـال أفريقيـا، والحركة المهديـة فى السـودان ، وهى حركات يقظة عربيـة إسلامية قامت لكـى تُعيد للديـن الإسلامى مكانته الأولـى ونقاءه كما كانـت على عهد الرسول (صلى الله عليـه وسلم) ، بعيدًا عما لحـق به عبر التاريخ مـن بدع وضلالات، وظهـرت أيضًا كرد

فعل لمقاومة الهجمة الاستعمارية الأوروبية التى زحفت على العالم العربى بصورة واضحة فى القرن التاسع عشر الميلادى؛ و لما شمله هذا القرن من تغييرات جذرية فى عهد محمد على باشا، تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فى مجتمعنا العربى، ولذا فإن هذا القرن يقف معلمًا أساسيًا ونقطة تحول واضحة نستطيع معها مطمئنين أن نتخذ منها بداية موضوعية ومنطقية لتاريخ العرب الحديث.

أما عن نهاية تاريخ العرب الحديث، فقد اصطلح عليها المؤرخون أنها تنتهى مع نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، ليبدأ تاريخ العرب المعاصر ***Contemporary Arab History***، ونحن نتفق مع هذا الرأى، وإن كانت جذور الحرب العالمية الأولى ترجع لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى.

تعريف مصطلح التاريخ المعاصر:

Contemporary history

التاريخ المعاصر هو تاريخ القرن العشرين، وهو لايشكل مرحلة تاريخية منتهية ولكنها مرحلة فى دور التطور ولم تَدُر بها عجلة المجتمع دورة كاملة بعد، وهى تشمل كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية .. إلخ.

ويمكن أن نحدد بداية التاريخ المعاصر بنشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، أى أن العالم المعاصر تاريخيًا هو عالم القرن العشرين الميلادى، ودراسة هذه الفترة على جانب كبير من الأهمية لقربها الزمنى منا ، ولأن الكثير من المشكلات التى نراها فى عالمنا المعاصر، فى أماكن كثيرة من العالم هى وليدة هذا القرن (القرن العشرون)، القرن الذى شهد إلى جانب ذلك، تطورًا كبيرًا فى مختلف النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والتكنولوجية والعلمية بدرجة كبيرة لم يشهدها قرن سابق. (٧)

حتى لقد أطلق على هذا القرن عدة مسميات، عصر الذرة، وعصر الفضاء، وعصر التكنولوجيا، وعصر التخصص، وعصر القوميات، وعصر الديمقراطيات، وعصر الحروب العالمية، وعصر الثورات، وانفجار المعلومات وشبكة الاتصالات ، وعصر الأيديولوجيات، وعصر التنمية، وعصر السرعة، وسُمِّى أيضًا العصر الأمريكى، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل مركز القوة والثقل فى العالم منذ الحرب العالمية الثانية.

إن جميع هذه التسميات التى ذكرتها للقرن العشرين صحيحة، وتعبر كل منها عن إحدى السمات التاريخية والحضارية لهذا العصر (٨)، كما أن كل سمة من هذه السمات لا يمكنها أن تكون شاملة لوحدها، فهى تركز على بُعد واحد من الأبعاد الخاصة بهذا العالم المعاصر الذى يميزه عن غيره من العوالم الأخرى، فهذا العصر هو عصر الذرة، كما أنه عصر الفضاء وهو عصر السرعة وعصر الثورات، وانفجار المعلومات وشبكة الاتصالات ولا يلغى أحدها الآخر، بل إن هذه الأبعاد والمميزات والسمات تكمل بعضها بعضًا، وتُسهم جميعها فى فهم عمق التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية وعمق تنوع هذا العالم المعاصر، هذه كانت بعض سمات العالم المعاصر.

وتاريخ العرب المعاصر، وتاريخ مصر المعاصر، يُعد جزءًا من تاريخ العالم المعاصر، يبدأ أيضًا بالحرب العالمية الأولى، والتى كانت نقطة تحول فى تاريخ الجنس البشرى، وانتقل العالم بعدها إلى عصر جديد، يختلف مافيه من المشكلات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، اختلافًا كبيرًا عما كان عليه عالم ما قبل هذه الحرب.

فقبل الحرب العالمية الأولى، خضع العالم العربى (ماعدا مراكش / المغرب) للحكم العثمانى وكان كوحدة سياسية واحدة تخضع لحكم واحد، أما تقسيمها إلى ولايات فقد كان تقسيمًا إداريًا، ومن ثم كانت الأوضاع فى المنطقة العربية متشابهة بدرجة كبيرة .

أما فى فترة مابعد الحرب العالمية الأولى، فقد أصبح العالم العربى وحدات سياسية منفصلاً بعضها عن بعض (دول عربية)، وكل منها يسير فى اتجاه مختلف عن الآخر ، وذلك بسبب الخضوع للسيطرة الغربية المباشرة أوغيرالمباشرة. (٩)

ولقد كانت الفترتان: الحديثة (ما قبل الحرب) والمعاصرة (ما بعد الحرب) حافلتين بكفاح العرب من أجل إثبات شخصيتهم المتميزة، أولاً كفاحهم ضد العثمانيين قبل الحرب العالمية الأولى، ثانيًا مقاومتهم الاحتلال الأوروبى بعد الحرب العالمية الأولى الذى مزق المنطقة العربية واستغل أهلها واستنزف مواردها.

ومما هو جدير بالذكر، أن تحديد بداية تاريخ العرب المعاصر بالحرب العالمية الأولى، أن التاريخ الحديث قد

انتهى؛ حيث بدأ التاريخ المعاصر، فما الأخير إلا حلقة من حلقات الأول، مادامت عملية التحديث مستمرة ومادام كان إيقاع التغيير الاقتصادى والاجتماعى يمثل امتدادًا لما شهده المجتمع فى القرن التاسع عشر الميلادى.

وهكذا، فالمرحلتان (الحديثة والمعاصرة) هما بمنزلة الصوت وصداه، أى أنهما مرحلتان متكاملتان وليستا متناقضتين، وإن كانت لكل منهما سماتها ومميزاتها الخاصة، وإطارها الزمنى الذى يختلف عن الآخر؛ فالتاريخ الحديث يُعد أطول زمنًا، أربعة قرون (القرن الـ ١٦ إلى القرن الـ ١٩)، أما التاريخ المعاصر فهو قرن واحد فقط وهو (القرن الـ ٢٠)، ويبدأ التاريخ المعاصر زمنيًا ببداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ويستمر حتى نهاية القرن العشرين، بينما آخر ٢٥ عاما نعيشها تدخل فى نطاق "الأحداث الجارية" Current events وليس التاريخ المعاصر.

والتاريخ الحديث والمعاصر يكمل بعضهما بعضًا، وما تقسيمنا لهما على هذا النحو إلا بهدف تيسير مهمة الدراسة لظاهرة التغير فى المجتمع العربى، فالدراسة التاريخية سلسلة مترابطة الحلقات كل منها يؤثر فى الآخر ويتأثر به.

المراجع :

(١) سهام طه محمود : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، (د.ن) ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص ١١، ١٢ .
(٢) عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي : العالم الأوروبى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ص ٨-١٠.
(٣) محمود حسن صالح منسي : تاريخ القرن العشرين (د.ن) ، القاهرة ،٢٠٠٠م ، ص ٣.
(٤) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : تاريخ العرب الحديث بين احتلالين(من الاحتلال العثماني إلى الاحتلال الأوروبى) ،مكتبة دار الآفاق ، الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٢٣ ص ص ١٧-١٩.
(٥) المرجع السابق ، ص ١٨.
(٦) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: معالم تاريخ العرب المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص ص ٥-٧.
(٧) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : دراسات فى تاريخ مصر المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٨م ، ص ص ٣-٥.
(٨) المرجع السابق ، ص٨.
(٩) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: معالم تاريخ العرب المعاصر ، مرجع سابق ،ص ص ٦ -٧.